وبين الصدق والكذب. وتجعل كل ما تعرفه الجارية مبنياً على ذكر الزنى والقيادة والغلمة.

هذا رسوخ ذهني وثقافي يحتاج إلى خيال مبدع لكي يواجه هذه الثقافة ويحاول تفكيكها ونسفها وتكسير غطرستها وهذا بالتحديد ما فعلته (تودد) في مجلس الخليفة حيث أخرجت الرجال واحداً تلو الآخر أخرجتهم عراة مخذولين بمن فيهم إبراهيم النظام أستاذ الجاحظ وشيخه.

لقد طرحت (تودد) الإخلاص لسيدها الأول في مواجهة صورة الغدر وصورة القينة عاشقة الثلاثة والأربعة في آن. وطرحت (تودد) ثقافة الفقه والقرآن والفلسفة والحكمة في مواجهة ثقافة الزنى والغلمة.

وقدمت صورة للجارية ذات الجمال وذات العلم، قينة صغيرة فصيحة، تسلب من يراها وتعريه وتفضحه، ولم تسع إلى بيع جسدها أو عرضه على المشتهين، ولكنها حمت نفسها وحمت سيدها، وكسرت سهام كل الطامعين المستهينين بها بوصفها أنثى وبوصفها جارية وبوصفها حسناء صغيرة السن.

جاءت الثقافة ومعها الجسد ليكونا مجازاً حضارياً يضاد الصورة الذهنية لأولئك الذين جعلوا أقذع الصفات حقائق تتضمن مديحاً لمن كان السباب حقيقة وجودهن.

إن حكاية (تودد) تشريح حضاري لثقافة الفحل.

2 - 5 على الرغم مما في الحكاية من دلالات عميقة، ومن تحول نوعي في رؤية المرأة لنفسها وللعالم من حولها، إلا أنها قصرت دون بلوغ مستوى الإبداع. فالثقافة الداخلية في الحكاية هي ثقافة حفظ من جهة، وهي معارف الرجل وعلومه من جهة أخرى. ونحن في الواقع أمام كتاب موسوعي اسمه (تودد) ولسنا أمام إبداع أنثوي يؤسس لخطاب نسوي خاص.